**المحاضرة (05): النظريات الحديثة حول الفن وعلم الجمال (01)**

**تمهيد:**

تعددت التصورات والمسائل النقدية في مجالي الفن وعلم الجمال، وبخاصة عند الفلاسفة الذين أولواً اهتماماتهم النقدية للفن من جهة، والجماليات بوصفها علما يقوم على دراسة الآثار الفنية من جهة ثانية، وذلك بتحديد مكامن الجمال والقبح، ودراسة مقومات وخصائص كل واحد منهما على حدة. وفي هذه المحطة، سنركز اهتمامنا حول أهم النظريات والتصورات النقدية التي قعدت للنظرية الجمالية في البحث الفلسفي، وذلك باستجلاء بعض المسائل النقدية لفلاسفة أمثال: أدورنو، ونيتشه، وكانط، وميرلوبونتي، وهيجل، وآخرون... سنفصل في الحديث عن تصوراتهم الابستمولوجية بالدراسة والتحليل، وذلك باستحضار أهم مواقفهم ورؤاهم النقدية للفن وعلم الجمال.

**1-إيمانويل كانط/ـت Emmanuel Kant**

يعد الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" (1724 – 1804) من الفلاسفة الذين أولوا اهتماماتهم لنظرية المعرفة الكلاسيكية، وهو من فلاسفة عصر التنوير. فقد طرح مجموعة من النظريات والطروحات النقدية من خلال أعماله التأليفية، وخاصة عمله الشهير: "نقد ملكة العقل المجرد"، وغيرها من الأعمال الهامة الأخرى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "نقد العقل الخالص"، و"نقد العقل العلمي" الذي ناقش فيه مجموعة من الأفكار والتصورات المرتبطة بالأخلاق والضمير الإنساني، وكتابه "نقد ملكة الحكم" الذي عالج من خلاله أهم الإشكالات والقضايا المعرفية ذات الصلة بفلسفة الفن والجمال. ذهب كانط إلى ما وراء التحليل الإمبريقي للإحساس الجمالي، متجها نحو التحديد الخاص لعلم الجمال، باعتباره مجالاً ً خاصا للخبرة الإنسانية يماثل في أهميته وتكامله المجالين الخاصين بالعقل النظري والعقل العملي (أي المجال المعرفي والمجال الأخلاقي).[[1]](#footnote-1)

 فالحكم على الجمال عند كانط يستند إلى مجموعة من المحطات العلمية والمعرفية، وهي بمثابة نظريات نقدية كرسها كانط لفلسفته النقدية، أطلق عليها اسم ملكات الذهن. اشتغل كانط على ثلاثة أعمال نقدية للكشف عن هذه النظريات النقدية، وفصل في قضاياها الأبستمولوجيا ورؤاها الفلسفية. فملكات الذهن عند كانط تنقسم إلى ثلاث: (ملكة المعرفة، وملكة الرغبة، ثم ملكة الشعور والألم)؛ فكل ملكة من هذه الملكات اتخذت وظيفة ومكانة. فملكة المعرفة مثلا هي الملكة التي حظيت بالرتبة الأولى من حيث التسلسل الوظيفي القيمي، باعتبارها الملكة التي تجسد كل المعارف والوظائف الإنسانية، والقوة التي تؤديها هي الفهم، والمبدأ الذي تستند إليه هو القانون، وهي الملكة التي خصص لها كانط كتابه النقدي الأول: "نقد العقل الخالص".[[2]](#footnote-2)

أما الملكة الثانية في تصنيفه الشهير "ملكة الرغبة" والقوة التي تقوم عليها هي العقل، ومجال اشتغالها ٍهو الأخلاق، والمبدأ الذي تستند إليه هو مبدأ الواجب، وهذه الملكة خصصها كانط بكتاب نقدي ثان هو: "نقد العقل العلمي". أما الملكة الثالثة والأخيرة فهي: "ملكة الشعور والألم"، وهي ما تقوم به قوة ملكة الحكم التي تعتمد على مبدأ الغرضية، ويتحدد مجال اشتغالها بالفن والجماليات، إذ خصص هاته الملكة بكتاب نقدي ثالث، عنوانه: "نقد ملكة الحكم". من خلال هذه الملكات الخاصة: (الفهم، والعقل والحكم) ، يتضح جليا مسعى كانط في تحليلاته النقدية للأخلاق ونظرية المعرفة الكلاسيكية، والجماليات من خلال منطق الحكم الجمالي الذي يتحقق من خلال الشعور واللذة. يقدم كانط تمييزا بين الجميل والجليل، من خلال اعتباره الجميل متصلا بالأخلاق والجليل بالخيال؛ ولكن كما في نظريته الأخلاقية، فإن كانط لا يكتفي ببداية سلبية لحرية الإرادة الإنسانية، بل يقول إن حرية الإنسان لا يمكن فهمها بالكامل إلا على أنها التعبير الإيجابي لقانون العقل الذي يشرع نفسه، لذلك في نظريته الجمالية ينتقل من تصور سلبي لأساس الاستجابة والمتعة، اللعب الحر للخيال والفهم، إلى واحد أو في الواقع عدة مفاهيم إيجابية لأساس لذتنا في الجمال الطبيعي والفني على حد سواء إلى مفهوم الفن كتعبير عن الأفكار الجمالية، وتجربة الجمال نفسها كرمز للأخلاق، وبالتالي كمظهر من مظاهر حرية الخيال:[[3]](#footnote-3)

**2-فريدريك هيغل Friedrich Hegel**

اشتغل هيغل (1770 - 1831) في عصره على تطوير مفاهيم وقوانين الفن وعلم الجمال، وقدم إسهامات جليلة ُفي هذا الصدد، إذ اعتبرت آراء هيغل الجمالية بمثابة نظرية عامة تتسم بالشمولية والاتساع من حيث ما تناولته من قضايا معرفية بخصوص النظرية الجمالية. ويبدو ذلك جليا من خلال التأثر الحاصل لدى الفلاسفة والمفكرين المعاصرين الذين تأثروا بفكره وطروحاته النقدية من خلال كتاباتهم النقدية، ونذكر في هذا الإطار على سبيل المثال لا الحصر: [كروتشه، وأدورنو، ولوكاش...] وغيرهم من الفلاسفة والمفكرين.

لقد رأى هيغل أن ما يندرج تحت علم الجمال هو الجمال الفني لا الجمال الطبيعي، وكان بحثه عن مصدر الجمال إنما يعود إلى الفكرة... لقد رأى هيغل أن الجمال ميدانه هو الإدراك الحسي، إدراكا لا يستلزم أقيسة عامة مجردة. وهو -أي الجمال- فكرة عامة خالدة، لها وجود مستقل، وتتجلى في الأشياء حسيا ، وهي في ذلك تخالف الحقيقة في ذاتها؛ لأن الحقيقة -من حيث هي- لها وجود ذهني غير حسي[[4]](#footnote-4).

1. - شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي: دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، عدد267، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس .2001، ص90 [↑](#footnote-ref-1)
2. - أنظر إيمانويل كانط: نقد ملكة الحكم؛ ترجمة: د. غانم هنا – المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت (سبتمبر)، 2005 [↑](#footnote-ref-2)
3. - Peter Kivy: The Blackwell guide to aesthetics - Blackwell Pub, 2004. [↑](#footnote-ref-3)
4. - رمضان الصباغ: الفن والقيم الجمالية: بين المثالية والمادية؛ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى .2001، ص134 [↑](#footnote-ref-4)